

في أفق الحوار المسيحي - الإسلامي تجليات في لاهوت وفكر المطران جورج خضر

مَارِيَا قِبَارَه

صورة المطران جورج خضر نفسها على المشهد. فمحور التلاقي هذا بين المسيحيين والمسلمين على المؤدة المتبادلة وعلى العيش معاً ضمن بوتقة اجتماعية وسياسية واحدة وفي تقرير مصير إنساني واحد.

فمن هو المطران جورج خضر؛ اللاهوتي والكاهن والمحاور الإسلام؟ وماهي نظرتة إلى الحوار المسيحي-الإسلامي في الشرق الأوسط اليوم؟ وما كان دوره الداعي إلى إصلاح الدولة ودنيا العرب؟

هذا ما سوف تكشفه هذه المقالة في تجليات وفكر المطران خضر، ونظرتة وخبرته في الشهادة المسيحية في ديار المسيحيين والمسلمين الناطقين باللغة العربية الواحدة. لقد شدّد المطران خضر في أقواله على القيم الروحية في الإسلام وإلى تقاطعها مع قيم المسيحية، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ خضر تبخّر في الحضارة الإسلامية وعلمها وخاطب المسلمين بلغة القرآن الكريم، واستشهد بآيات قرآنية مراراً في كتاباته المتعلقة بالسّجلات والمواضيع الإسلامية - المسيحية.

إنجيل المسيحيين وشهادتهم في الشرق الأوسط

إنّ المحور الأساس لتأملات المطران خضر في الحرب اللبنانيّة كانت شهادة المسيحيين. فقد رفض المطران خضر، ومنذ بداية الحرب، أن يكون المسيحيون كياناً واحداً ضدّ المسلمين يقول: "إنّ المسيحيين كيان محبة لا كتلة طائفية. فليس بيننا، نحن أتباع يسوع، إلاّ عهد بقائه هو لا علاقة له بالقوة الزمنية. بيننا عهد حبّ هو فرصتنا الوحيدة أن نهدد للمسلم صيرورته مخلوقاً جميلاً" [٣]. رفض، أيضاً،

المطران جورج خضر، المولود في طرابلس عام ١٩٢٣، انطلق إلى رحاب اللاهوت والفلسفة. إمتهن الحوار، فجعله أسلوب عيش وتلاقٍ. إنّه ميتربوليت جبل لبنان للروم الأرثوذكس منذ عام ١٩٧٠، قرّبه فهمه العميق للدين واللاهوت من فكرة الشعراء عن الله والوجود، ولذلك إتسمت كتاباته بنبرة شعرية خالصة مزجت بين الإستعارات السماوية وحدثة اللغة العربية.

المطران خضر، ليس مؤرخاً، بل قارئاً للتاريخ وناقده. واعظٌ ملفان، صاحب ثقافة متعدّدة. ملّم كراعٍ بجراحات الشرق في منطقة شهدت صراعات وتوترات كثيرة من حروبٍ وصراعٍ أتباعٍ دياناتٍ استهدفت في من استهدفت أبناء كنيسته.

يؤمن المطران خضر بضرورة حوار الأديان وحضارات الشعوب وحتميته، فهو الذي يتلمس التاريخ عبراً تفيده في دعوته بحثّه المسيحيين أن يعوا أنّهم "ليسوا إزاء المسلمين، بل مع المسلمين" [١].

لم يقفل يوماً باب الحوار، هو الذي سبق له أن أعلن أنّ على المسيحيين أن يعترفوا بالنبوة خارج الكنيسة يقول: "ليس ما يحول دون رؤيتنا النبوة خارج المؤسسة الكنسية... ليس في العهد الجديد ما يدلّ على أنّ المسيح أغلق باب النبوة في العالم" [٢]، وكان يردّد، دوماً، أنّ "المسيحية هي ديانة اللوغوس- الكلمة" الذي صار إنساناً، وأنّ كلّ رفضٍ للحوار إمّا هو رفضٌ للكلمة.

فلا يُحكي عن الحوار المسيحي-الإسلامي إلاّ وتفرض

نصارى" في دنيا الإسلام بل أن يصبح الجميع مواطنين في أوطان، متساوين في الكرامة بحيث لا يبقى فضل لأحد على أحد في الوجود والحرية"[٨].

رفضَ خضر الدّخول في سجالٍ حول من يحكم لبنان، لذلك سيّان لدى خضر أن يحكم لبنان، المسيحي أو المسلم، فالشّهادة المسيحيّة الحقيقيّة قائمة في ظلّ أيّ حكم وليس في مستطاع أحدٍ أن يمنعها. في مقال له بعنوان "الفاعلية المسيحيّة" يقول: "ليس مسيحيّ في العالم العربي يزداد عمقاً في معرفة المسيح أو تقوى مساهمته في سياسة بلده بمجرد تبوؤ المسيحيين أو فئة منهم سدّة الحكم في لبنان"[٩].

في السّياق عينه يؤكّد المطران خضر أنّه والأرثوذكس، في الواقع اللّبنانيّ بعامة، علمانيّون استراتيجيّاً، قائمون في النّظام الطّائفيّ حالياً، مشاركون فيه عن غير سوء ولا عصبية لكونه الوجه الحاليّ للدّولة. ويتابع بالقول: "الأرثوذكس، تاريخاً ولاهوتاً، لا يستطيعون أن يكونوا حزباً ملياً يستمدّ توجيهاً والتزامات سياسيّة من الأساقفة أو ممّن يفوض له أو الأرثوذكسيين دنيوياً. نحن لا ننسى أنّنا فقط مجتمع كنسيّ، ولكوننا كذلك لنا وجه حضورنا في السياسة. إنّهُ حضور مع الكلّ ومن أجل الكلّ انطلاقاً من التزامنا الإيماني"[١٠].

ومن هنا، يمكننا التأكيد أنّ موقف المطران خضر من الدّولة يعبر عن عمق الوجدان الدينيّ والوطن في آن واحد. لقد آمن بإمكانية الحوار على الصّاعدين الوطنيّ والإنسانيّ وبخاصّة ما يتعلّق بالعلاقات المسيحيّة - الإسلاميّة، وبهوية الدّولة الحاضرة للتّنوع في لبنان وسواه من الدّول العربيّة التي فيها حضور مسيحيّ لافت وعريق.

والرسالة التي وجهها المجمع الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ إلى الأرثوذكسيين برئاسة البطريك الراحل إغناطيوس (الرابع) هزيم في بداية الحرب الأهليّة في لبنان، تعبّر عن الموقف

أيّ تكتّل مسيحيّ سياسيّ أساسه طائفيّ بقوله: "نؤكّد أنّ الوحدة المسيحيّة ليست في التسمية ولا في كتلوية الطوائف، لكنّها في بلورية الأفراد وإنجيليتهم"[٤].

لقد رفضَ المطران جورج خضر أن تتفوّق المسيحيّة ضمن شرنقة تفصل أبناء الكنيسة عن الآخرين في صنع الكيان الواحد والمصير الإنسانيّ الواحد. يقول في هذا السّياق: "إنّ سياسة الإنجيل هي غسل الأرجل، وهذا يفترض أن تكون قضيّة المسيحيين في الشّرق هي قضية الإنسان العربيّ المقهور، وقضية الحرّية المسلوقة، والبؤس والجهل عند المسلمين والمسيحيين"[٥].

استمرار الشّهادة المسيحيّة الحقيقيّة في الشّرق هي الهاجس الوحيد لخضر. لا شك أنّ التزام العيش المشترك لدى المسيحيين بعامة يستند إلى الخبرة الحياتيّة التي عاشوها في أوساط وظروف مختلفة. ودعوة المطران خضر إلى العيش المشترك لم تكن تنظيراً بل خبرة حياة يذكرها بكلّ حبّ عن طفولته التي عاشها في الأحياء القديمة الإسلاميّة في مدينة طرابلس في شمال لبنان، ويعتبرها خروجاً من "حارة النّصارى" إلى رحاب العيش المشترك الواحد مع المسلمين والانخراط في العمل الوطنيّ الواحد. يقول خضر في كتابه "لو حكيت مسرى الطّفولة": "نحن تركنا حارة النّصارى التي عاش فيها جدّي. آمناً بالمسلمين وذهبنا إليهم. وكنت أنا عند إياي من المدرسة ظهراً، أرى جموع المصلّين يسجدون وينتصبون في مسجد الحيّ"[٦].

قال في مناسبة عيد أحد الشّعائين: "اليوم يجيء يسوع ليلغي حارة النّصارى، ليهدم كلّ سورٍ بعدما ألغى بموته حارة اليهود، غيتو اليهود. ما كان النّصارى مسؤولين إقامة حاراتهم"[٧]. في مقالة أخرى، يرد خضر قيام "حارة النّصارى" إلى نظام "أهل الدّمة" المُجحف بحقّ النّصارى، ويقول إنّ نضال المسيحيين الوطنيّ هو "ألا يظّلوا" حارة

عندما تصبح مجمع الأبرار من كل جنس وأمة [١٢].
نظرة المطران خضر إلى الكنيسة مبنية على تعاليم الآباء ومنهم القديس يوستينوس الشهيد بقوله: "إن الكلمة الإلهي ينطق قبل تجسده بالكلمات المزروعة أعني الحقائق المزروعة هنا وهناك" [١٣]. هذه النظرة للمطران خضر للأديان كافة، قبل المسيح وبعده، تتلخص في تلمس وجه المسيح يسوع. فالمسيح بحسب قوله: "ليس بالنهاية اسماً أو نظاماً أو مؤسسة ولكنّه قيمة وفعل وتحول القلوب إلى الوداعة والتواضع والبساطة في الجهاد الأكبر في سبيل المعذبين" [١٤]. ولا تغيب عن بال المطران جورج، حين يعرض نظرتة هذه، فكرة المسيح الموجود في كل كشف إلهي، فيقول في المقالة نفسها: "الله قادر أن يكشف نفسه لشهداء عشقه من كل صوب أو لمن أقام الصلاة وأدى الزكاة والتمس وجه الحبيب في حجة البيت" [١٥]، ويتابع قائلاً: "الفرق بين الناس أن المسيحيين يسمون مخلصهم باسمه وغيرهم لا يسميه. ولكن في الحالتين المخلص واحد".
واللقاء المسيحي يأتي عند المطران خضر، من الحياة إلى الفكر، أي أن الحوار الحقيقي هو حوار الحياة. هنا يدخل في نطاق "المسيح الكوني"، أي أن تبحث عن حضرة المسيح في كل نعمة منسكبة منه تعالى على المؤمنين كافة. هي كما يقول: "أن ترى، مسيحاً، حضرة الرب المبارك حالة في المسلم في ركيعاته وصومه وتجهده" [١٦].

ذكر المطران خضر أن من نُعتوا بالنصارى منذ الجاهلية ما كانوا غرباء عن بني العرب، سواء أكانوا من أهل تغلب أو من أهل غسان". كما كان يذكر دوماً بأن من دعاهم القرآن "بأهل الكتاب" هم حملة إنجيل مقدس قال عنه القرآن أيضاً "إن فيه هدى ونور".

وبالتالي، وبحسب ما ورد أعلاه، تأتي استشهادات

التاريخي الذي يذكر بدور المسيحيين وشهادتهم في المشرق العربي. وفيها يدعو المجمع، ومنهم المطران جورج خضر - مطران جبل لبنان، أبناءهم إلى النضال من أجل إلغاء الطائفية، وإسناد وظائف الدولة على أساس الكفاءة وليس على أساس طائفي. وأيضاً، تؤكد على أهمية العيش المشترك للمسيحيين والمسلمين، ورفضها لمبدأ التقسيم والكانتونات الطائفية، ورفض "كل تراص مسيحي وكل كيان مسيحي للبنان" [١٧].

يرى المطران خضر نفسه في لبنان مطراناً للروم والموارنة والإسلام والدروز، يخدم قدر المستطاع ويعتبر نفسه مسؤولاً روحياً عن الشعب كله. هذا الأمر قاد المطران خضر إلى الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، وخصوصاً أنه درس شخصيات الدين الإسلامي من ضمن الحضارة العربية في الجامعة اللبنانية في منتصف الستينيات يقول: "سرنا في الحوار شوطاً وظهرت قناعة بأن هاتين الكتلتين يجب أن تتعارفا وتتلاقيا. فالحوار هو فكري ونقاش لعقيدة الآخر. هذا الحوار يستكمل على قدر استجابة الفريق الآخر". أما الحل فيبقى حسب خضر في العلمنة: "أنا كمطران أربح في العلمنة" ويقول شارحاً "أن اعتماد العلمنة يطرد عن الكنيسة ذوي المصالح الضيقة والمستفيدين. هذا سيتحقق، لكنّه يحتاج إلى وقت. سيتحقق الخلاص من المحنة الحاضرة وسيسود السلام هذا المشرق".

الحوار الحقيقي هو حوار الحياة

يميز المطران جورج خضر بين الكنيسة في واقعها التاريخي وظروفها آنذاك وكنيسة الأبرار المتجلية اليوم وبعدها الأخرى بقوله: "الكمال ليس في الكنيسة في وضعها التاريخي العابر، الملء في السيد الذي أطلقها إلى العالم بالكلمة والماء والروح والدم لتكون هذه شهوداً عليها. الملء هو في هذا الذي ستصيره الكنيسة في اليوم الأخير

خاتمة:

مع تصاعد الأصوليات الدينية التي أخذت تحتل العقول والأفئدة. ترى المسلمين والمسيحيين مسحورين بالخطاب التكفيري التحريضي وبخطاب الكراهية الذي يحارب كل فكر مستنير يتكلم عن التعددية الدينية في الشرق الأوسط. هذا الخطاب المهيم هو خطاب الثنائية لا ترى فيه إلا لونين لا ثالث لهما: إما الأبيض أو الأسود، إما الإيمان أو الكفر، إما الأمة البازة أو الأمة المارقة.

وضمن هذا البؤس الناشئ والقلق المسيحي والإسلامي لا بد للمسيحيين والمسلمين العرب من أن يبدؤوا معاً في تعاقد عربي جديد يقوم على المواطنة والحرية والمساواة والديمقراطية. فالمسيحي هو شريك كامل للمسلم في بناء المستقبل. هذا التعاقد يجب أن يكون ضمن أولويات الحوار العربي المسيحي- الإسلامي لبلورة رؤية مشتركة مسيحية وإسلامية تستشرف آفاقاً يتم فيها استئصال روح التعصب والطائفية. فأبي عمل في موضوع الحوار والعلاقات المسيحية - الإسلامية يجب أن ينطلق من حقيقة ما نخبره في مجتمعاتنا العربية.

يستشهد المطران جورج خضر بالآية القرآنية: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ (الحشر، ٢٣). وفي استشهاد إنجيلي يبدأ إحدى مقالاته مذكراً بأن "المسيح هو سلامنا" (أفسس، ٢: ١٤). وهذا لدعوة اللبنانيين إلى العمل من أجل السلام. وتذكير المسيحيين والمسلمين معاً من خلال كتاب كل منهم، بأن الله لا يبغى الحرب بل يدعو إلى السلام.

إن الحوار المسيحي الإسلامي في شرقنا اليوم ما زال ضرورة واجبة. وبدلاً من أن يسعى كل طرف إلى تسجيل

المطران جورج خضر من القرآن ليدعو المسلمين إلى مؤدة المسيحيين والتحاو معهم، كالأيتين: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت، ٤٦)، والآية: ﴿لتجدن أقربهم للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ (المائدة، ٨٢).

لم يهدف المطران خضر إلى استخدام القرآن والإسلام لتسجيل نقاط التعارض بين مسيحيته والإسلام، لا بل كان يجادل ويحاو الدين التوحيد من أجل التلاقي معه. فهو يفترض المعرفة والاحترام المتبادلين والسعي من أجل حياة أفضل في الوطن الواحد مع الشريك؛ وشريك المسيحيين في هذا الأمر ليس سوى المسلم.

هنا علينا أن ننوه بعجالة أنه بين قراء المطران خضر يوجد شريحة واسعة من المسلمين، لهذا كان يتوجه إليهم من خلال القرآن وآياتهم المنزلة ليذكرهم بمكانة المسيحيين في القرآن ووجوب التحاور معهم وضمان حرية معتقدتهم. أهم هذه الآيات هما الآيتان المأخوذتان من قصة قابيل وهابيل: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (المائدة، ٢٨)، والآية: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها فكأنما أحيها الناس جميعاً﴾ (المائدة، ٣٢).

وانطلاقاً من هاتين الآيتين يعود خضر للتذكير بالقول: "بأن الإنسان هو أخو الإنسان إلى أي دين انتمى. إننا جميعاً نأتي من آدم". هذه النظرة التي صاغها المطران جورج خضر المتجذرة في الفكر المسيحي وفكر الآباء هي بمثابة طريق، للإخوة اللبنانيين، مسيحيين ومسلمين، لاتخاذهم يعطي اللقاء ثماره الفعلية في العيش المشترك.

- ٨- خضر، "من وحي عيد الصليب"، في "الرجاء في زمن..."،
المرجع المذكور، ص ٣٠.
- ٩- خضر، "الفاعلية المسيحية..."، المرجع المذكور، ص ٢٤٤.
- ١٠- خضر، الكنيسة والدولة، منشورات النور الأرثوذكسية،
بيروت، ١٩٨٢، ص ٤٢.
- ١١- المجمع الأنطاكي المقدس، جريدة الحياة، ٢٤ آب، ١٩٧٥.
- ١٢- خضر، "المسيحية والعرب" المرجع المذكور، ص ١١٥.
- ١٣- المرجع السابق، ص ١١٤.
- ١٤- المرجع السابق، ص ١١٥.
- ١٥- المرجع السابق.
- ١٦- خضر، "العلاقات الإسلامية-المسيحية: قراءة في الراهن
والمستقبل"، في العلاقات الإسلامية-المسيحية، بيروت،
١٩٩٤، ص ٢١٨.
- ١٧- في تكريم متروبوليت جبيل والبترون وما يليهما المطران
جورج خضر، جامعة الحكمة وجمعية "لقاء العميرين"،
لبنان، ٢-حزيران-٢٠١٥.

النقاط في مرمى الطرف الآخر، فليتمّ التعاون والتّعاقد في
سبيل تحقيق الخيرات الصالحة الموعود بها المؤمنون. هكذا
يكون التّنافس محموداً بين المؤمنين بالله الواحد.

لائحة المراجع:

- ١- المطران جورج خضر، "المسيحية العربية والغرب"، في "
المسيحيون العرب"، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت،
١٩٨١، ص ٩٧.
- ٢- خضر، "المسيحية والعرب"، في فلسطين المستعادة، ص
١١٤.
- ٣- خضر، "الفاعلية المسيحية أين هي؟"، في الرجاء في زمن
الحرب، جريدة النهار، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٤٤.
- ٤- خضر، "الملتقى في النور"، جريدة النهار، ٣٠ آذار-١٩٨٦.
- ٥- خضر، "الفاعلية المسيحية..."، المرجع المذكور، ص ٢٤٥.
- ٦- خضر، "لو حكيت مسرى الطفولة"، تعاونية النور
الأرثوذكسية، الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠١٧، ص ٦. انظر
أيضاً: خضر، "طرابلس في المحنة الكبرى"، في الرجاء في
زمن الحرب، ص ١٢٨.
- ٧- خضر، "صهيون والهيكل"، في الرجاء في زمن..."، المرجع
المذكور، ص ٨٠.